إحراق المصاحف فى دول أوروبا .. كراهية للإسلام أم خوفاً من المسلمين ؟!

محمد سعد زغلول سالم

الأربعاء ٢٨ يونيو ٢٠٢٣

مرةً أخرى بغير حصرٍ يتكرر هذا الخبر الوضيع عن هذا الحَدَث الأخرَق عن قيام أو محاولة قيام بعضٍ من الهَمَج الأوروبيين بحرق نسخة من القرآن الكريم. ويُحارُ المرؤ فى معرفة الدوافع الحقيقية وراء مثل هذا السلوك الذى لا يُقْدِم عليه سوى أُناس مختلين عقلياً ونفسياً رغم ما يشغله بعض هؤلاء الهَمَجْ من مناصب ووظائف رسمية فى بلدانهم. فيمكن لهؤلاء الهَمَجْ التعبير عن عدائهم للإسلام والمسلمين وعدم إيمانهم بالقرآن الكريم أو عن كراهيتهم له بالتجمع ورَفعْ لافتاتٍ قماشية أو ورقية أو خشبية يعبرون فيها عن آرائهم هذه بدون أن يُسيئوا إلى البيئة التى يَحْيونَ فيها والمُلوثة أصلاً بوجودِهم فيها. ولكن عندما يشاهد المرؤ ما يقوم به هؤلاء الهَمَجْ المختلين عقلياً والمضطربين نفسياً والساقطين أخلاقياً من أفعالٍ لا يمكن تخيُلها أو تصور صدورها من شخصٍ عاقل تتضمن تشويهاً وإساءاتٍ وبذاءاتٍ وسخرياتٍ من المسيح عليه السلام لا يستغرب ما يقومون به من أفعالٍ ضد رموز الإسلام مثل هذه الجريمة النكراء بحرق المصحف فى بلادهم.

ويتملك المرؤ أيضاً شعورُ طاغى بالإستغراب لما يمكن للنفوس البشرية الشائهَة التى تقبَع بأعماق مَنْ يفعلون هذه الأفعال أنْ تصلَ إليهِ من مهاوى للإنحطاط والرِّدَّة إلى الهمجية والبدائية التى كان يحيا فيها أسلافُهُم من ذرية الفايكنج وهَمَجْ أوروبا وأن تستوطِنها كُلُّ هذه المشاعر المَقيتة من الحقدِ والكراهية والرغبةِ فى الإنتقام من كتابٍ كالقرآن الكريم بإحراقه تعبيراً عن هذه المشاعر السوداء التى لمَّا تزل كامنةً فى قلوبهم وعقولهم ونفوسهم .. والتى تجَّذرت فيها بغير أملٍ فى الخلاص منها رغم كُلِّ تعاليم دينهم التى تحُضُهُم على المحبة والتسامُح حتى مع أعدائهم والتى لا يتبعونها بل ورُبَّما لا يعرفون عنها شيئاً .. والتى تجد مثيلاتِها فى الوقائع السابقة التى تقشَعِّرُ لها مشاعرُ الإنسان عندما كان الهَمَجُ من أسلافِهِم يقومون بحَرْق بعضهم البعض بتهمة السحر أو الهَرْطَقَة ويستمتعون بحَرْق أعدائهم من البشر أو إلقائهم كفرائس للحيوانات المفترسة وإستمتاعهم بهذه البشاعات التى كانت سلوكاً دائماً يمارسونه ويحرصون عليه فى نواحى حياتهم بصورةٍ مستمرة بل ويعتبرونه مَدْعاةً للترفيه والتسلية لهم .. ناهِيكَ عن غرامِهِم القديم الذى لم يتغير رغم مرور كُلِّ هذه القرون بحرق الكتب التى تحوى ما يُخالف معتقداتِهم وآرائهم والذى لم يُفارقهم حتى الآن.

إلا أنَّ الأكثر غرابةً وإثارةً للدهشة هو ما يفعله هؤلاء الهَمَجْ ويُصرون على تكراره المرة تِلْوَ الأخرى بإحتفالاتهم البَلْهاء بحرق القرآن الكريم فى بُلدانٍ تتباهى بأنها صارت مناراتٍ للتحضر والمدنية والإنسانية .. الخ الخ .. إلى آخر هذه الهُراءات التى تفضحُها أفعالُهُم وجرائمُهُم ليس فقط ضد القرآن الكريم بل ضد جموع من البلدان الإسلامية وغير الإسلامية فى جميع قارات العالم .. ذاقت وَيْلات وحْشيتهم وهَمَجيتِهِم الكامنة فى أعماقهم والتى تتفجَّر فيها دونما إعتبار لأى من هذه الشعارات التى يرفعونها فوق رؤوسِهِم كُلَّما إستيقظت غرائزُ النهب والسرقة واللصوصية فى نفوسِهِم وواتَتْهُم الرغبة فى الإستيلاء على مقدرات وثروات هذه البلدان والتى لم تفارقهم منذ عهود الإستعمار الأولى وحتى يومِنا هذا. فما أقبحَ النفسُ البشرية عندما تهْوى إلى أسفلَ سافلين بغير رغبةٍ أو حتى محاولةٍ للخلاص.

ولا يَسَعْ المرؤ حتى وإن لم يكن مسلماً سِوَى أن يدهش لمنطق البجاحة والوقاحة التى يتحجج بها هؤلاء للدفاع عن سلوكٍ مُنْحط أقل ما يوصَف به أنه سلوك دنىء وهابط ومُشينْ يهدف إلى الإهانة المقصودة والمتعمدة ولا علاقة له بحرية الفكر أو التعبير. فنقدُ الإسلام نقداً موضوعياً أمرُ متاح للجميع ولا إعتراض لأى مسلم عليه .. بل إن إنتقاد الإسلام فى ما يحويه من شرائع كالحدود أو المواريث أو النكاح مثلاً بحجة أنها لا تتوافق مع معايير العدل الإنسانى أو الرحمة أو المحبة أو التحضُرْ .. الخ الخ .. أيضاً أمرُ متاح للجميع ولا إعتراض أيضاً لأى مسلم عليه لأنه داخل فى حدود حرية التعبير عن الرأى فى ما يتعرض له من موضوعات. وحتى ما يقوم به الملحدون ضد الإسلام تحديداً من إنكار لوجود الله وإنكار لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً أمرُ داخل فى نطاق حرية التعبير عن الرأى لأن الله سمحَ بالكفر به لمن يشاءُ من خَلْقِه ولا يستطيع مسلم الإعتراض على هذا الأمر ولكنه يستطيع مجادلتهم بالحسنى والموعظة الحسنة إذا سمحت بذلك الظروف. ولذا فإن تجاهُل كل هذا المجال الواسع المتاح لمن يريد نقدَ الإسلام عقيدة أو شريعة أو عبادة أو معاملة بدافع حرية التعبير عن الرأى بغير أن يلقى عقاباً أو يتعرض لهجوم أو ينتهى بقصاص واللجوء إلى وسائل دنيئةٍ كإهانة الرسول صلى الله عليه وسلم ونشرها فى وسائل إعلام والترويج لها أو حرق القرآن الكريم فى إحتفالاتٍ ساذجة إنما يعبر عن كراهية عمياء وحقدٍ دفين وعنصرية همجية وهى مشاعر لا يُجْدِى معها حوار بالحُسْنى أو بالموعظة الحَسَنة أو بغيرها.

فهذه الأفعال الوضيعة جرائم تستحق القصاص لأنها داخلة تحت مظلة الإفساد فى الأرض لأن من يخططون لها ويُشعلون أوارَها وينفخون كيرِها بغير توقف إنما يبغون من وراء ذلك إلى التقليل والتحقير والإزدراء لكل ما يتعلق بالإسلام من رموز طامعين فى أن تشب الأجيال المسلمة الجديدة وهى تسمع وترى مشاهد التقليل والإحتقار والإزدراء لدينها وعقيدتها ورسولها الكريم وقد صارت أموراً عادية يُعبر بها من ينشرونها عن آرائهم دلالةً على ممارستهم للحق فى التعبير مثلما فعلوا وأفسدوا عقائد أجيالٍ وأجيالْ من المسيحيين فى الغرب حتى صارت السخرية من السيد المسيح عليه السلام والإستهزاء به والتقليل من شأنه أمراً مألوفاً لديهم لا عقاب عليه وهو سلوك دنىء وحقير يطمعون أن تشب على مثاله أجيالُ المسلمين المعاصرين والمقبلين فيتزعزع إيمانهم وتضطرب عقائدهم ويفقدوا صلتهم بدينهم وبرسولهم بعد حين. ولهذا فإن هذه الإهانات والإساءات التى توجه قصداً وعمداً إلى القرآن الكريم وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم لا علاقة لها بحرية الرأى أو التعبير إنما هى مثال واضح جَلِّى لأفعال الإفساد فى الأرض التى تستحق القصاصَ عقاباً شرعياً واجباً لها.

ويثيرُ تكرارُ هذه الإساءات فى نفس كُلِّ مسلم الحسرةَ على ما تدَّنت إليه من الذُّل والضِعَة والمهانة مكانة الأذِّلاء والضعفاء والخانعين من الرؤساء والأمراء والملوك والحكام الذين يتولون سلطات الحكم فى بلاد المسلمين والذين يتلقون الصفعاتٍ على وجوههم الصفعَة تلوَ الأخرى ضد رموز دينهم بغير أن يهتز لهم جفن أو يحرك لهم لسان حتى بالإعتراض بالقول على هذه الإساءات بعدما إرتضوا وإستبدلوا ذُّل الدنيا ومهانتِها بكرامة الدين الذى أعَّزهُم به الله. ولله فى خلقه شؤون.